الفصل الثانى

بين طبيعة الإنسان وهداية القرآن

● **ما تتجه اليه طبيعة الانسان :**

إن طبيعة الإنسان ـ وهى طبيعة ثنائية فى وحدة واحدة ـ تتجه بحكم جانب من ثنائيتها ، وهو مصدر الحركة فى الإنسان : إلى اتجاهات ثلاثة ، أو تميل بالحركة فى الإنسان صوب أهداف ثلاثة فى عالمه الذى يعيش فيه . ومصدر الحركة فى الإنسان هو المصدر المؤقت فى الفرد ، ويتمثل فى معدته وما يتصل بها من غرائز .. والمصدر المستمر فيه ، ويتمثل فى نسله والخلف البشرى الذى ينتج عنه ، وما يرتبط به كذلك من دوافع تدفع إلى حركته .

وما يعبر عنه فى طبيعة الإنسان بغريزة حب البقاء الفردى أو النوعى .. أو بالشهوة ، أو ما يتحدث عنه فى بدنه من المعدة والفرج ، أو ما يذكر فيه باسم الطبيعة الحيوانية : كل ذلك يمثل جانبا فى الطبيعة الإنسانية .

أما الجانب الآخر فيمثله القلب والعقل .

والقرآن الكريم يذكر هذه الثنائية فى قول الله تعالى :

« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . (أى خلقه كان إبداعا) **انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج**

(أى خلقه الله ــ بعد آدم ، وحواء ــ من نطفة مشتركة ، اختلط فيها ما للذكر وما للأنثى . وهذا هو الجانب الحيوانى ، أو الجانب المادى الذى يوحى بالشهوة لديه .. أو هو الجانب الذى ينجذب إلى المادة أو يرغب فى الخلود إلى أدنى) **نبتليه** (أى جعل تكوين أحد جانبيه من هذه النطفة ، وهى مادة : ليختبر بهذا الجانب فى حياته الإنسانية) **فجعلناه سميعاً بصيراً** . (أى ومن أجل تحقيق الإختيار جعلناه مدركا ، وذا عقل كذلك .

وهذا هو الجانب الثانى فى تركيبه وفى ثنائيته . والإنسان عندئذ فى طبيعته إذن : مادة ، ومن شأنها أن تميل بالإنسان إلى الرسوب نحو الأدنى .. وعقل ، ومن شأنه أن يسمو بالإنسان فوق الدنو والسقوط والانحدار) .

« **انا هديناه السبيل** (وهو سبيل الإيمان برسالة الله على يد أى رسول ، وكذلك سبيل العمل بها) **اما شاكراً واما كفورا** » (١) (أى ولكن ليس بلازم أن يهتدى بها بالفعل : فإما أن يؤمن الإنسان معبرا عن شكره لله عن هدايته .. وإما أن يظل غير مؤمن بهذه الهداية ومعارضا إياها ، ويستمر حينئذ على ترديده بين خصائص المادة فيه ، وهى التى تدفع نحو السقوط .. وخصائص العقل والحكمة لديه ، وهى التى تحمل على الرفع والسمو) .

.. والاختيار الذى وضع أمامه الإنسان فى حياته ، وعبر عنه القرآن بقوله « **نبتليه** » هو اختيار هذا التردد والتذبذب : بين السقوط والرفعة ، أو بين الهوى والسمو . والعامل المرجح لسموه ورفعته ، وخروجه من هذا التردد بحكم ازدواج طبيعته : هو عامل الإيمان . فإذا لم يتبع هداية الله : هوى نحو معدته وفرجه .. وأغفل عقله وقلبه .

.. والاتجاهات أو الأهداف الثلاثة التى يميل إليها الإنسان من طبعه ، ويندفع نحوها إذا لم يأخذ بهداية الله ، هى : اتباع الهوى .. والميل إلى الشح .. والركون إلى المحسوس أو المشاهد وحده . وثلاثتها تكون ظواهر اتجاه الجانب المادى فى الإنسان ، أو تحدد مظاهر الأنانية فيه .

* * *

(١) الانسان : ١ ــ ٣

● **اتباع الهوى :**

وجعل القرآن الكريم اتباع الهوى فى الإنسان ـ اهتماما بهذه الظاهرة ـ : أمارة على انفكاكه عن هداية الله ، وتخلفه عن الإيمان به . فيما يذكره قول الله تعالى : « **فان لم يستجيبوا لك** (أى فإن لم يستجيبوا لتحديك إياهم بإتيان كتاب من عند الله هو أهدى من التوراة والقرآن) **فاعلم انما يتبعون أهواءهم** ، (أى فيما يحاجونك فيه . إذ ليست هناك مرحلة وسطى فى سلوك الإنسان وموقفه : فإما اتباع للهوى ، كإحدى ظواهر الجانب المادى فى الإنسان .. أو طاعة لهداية الله ، ورفعة وسمو فى إنسانيته) **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** » (٢) ..

.. والقرآن يضع هذه الظاهرة المادية لأهميتها أمام الرسول عليه السلام : ليعلمه بها : من هم الكافرون حقا .. ومن هم أعداء الله فى مواجهة دعوته ، كى يأخذ حذره منهم من جانب .. وليخفف من أمله فى كسبهم لدعوته من جانب آخر . إذ قبل هذه الآية يحكى القرآن عن عدم جديتهم . واستخفافهم بشأن الدعوة ، فيما يقصه من منطق حالهم ، أو مقالهم ، بقوله :

« **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من عندنا** (وهو القرآن) **قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى ، أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ، قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين** » (٣) ..

.. فمنطقهم هو منطق التهرب من الإيمان ، تحت تأثير جنوحهم إلى الهوى ، والانحدار إلى ضلاله ومتاهاته :

أولا : عندما يتعرضون للأحداث والمصائب الناشئة عن تصرفاتهم هم : يعلنون استعدادهم للإيمان برسالة الرسول إذا أرسل بها واحد إليهم ، كى يكون ذلك شفاعة عند الله ، فتزول عنهم هذه المصائب .

ثانيا : عندما تأتيهم رسالة الرسول ـ على نحو ما جاء محمد عليه السلام : بالقرآن إليهم ـ يتهربون من الإيمان بها ، بدعوى أنها ليست على

---

(٢) القصص : ٥٠ (٣) القصص : ٤٧ ـ ٤٩

نمط رسالة سبقته ، كرسالة موسى عليه السلام فى كونها غير منجمة ، وغير مصحوبة بأمارة مادية ، كعصا موسى ، مع أن موقفهم من رسالة الرسول السابق ، كان على شاكلة موقفهم من الرسول الذى أتى إليهم ، وهو موقف رفض الرسالة وعدم الإيمان بها ، مدعين : أن كلتا الرسالتين ينطويان على خداع ، أو هما قائمان على خداع : « **قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون** » ..

ثالثاً : عندما يتحدون بطلب الإتيان بكتاب هداية ، بعيداً عن الخداع يتبعونه جميعا ــ وفى مقدمتهم الرسول ــ يعجزون عن الإتيان به . وهم إذن ليسوا جادين فى الانتقال من اتباع الهوى إلى الإيمان بهداية الله . بل مازالوا يتبعون أهواءهم . ولذا : كان منطقهم فى عدم الإيمان : هو منطق الضال فى غير اهتداء لسبيل الحكمة .

وشأن المتبع لهواه : أن لا يرضى بحال إطلاقا . بل هو قلق فى حالتى الغنى والفقر .. والصحة والمرض .. والترف والحرمان . وقلقه يعود إلى طلب المزيد ، إن كان لديه ما يرغب فيه ، أو إلى الإلحاح فى تحقيق رغبة له إذا لم تكن قد تحققت . ، ويضرب القرآن المثل للمتبع لهواه : بالكلب الذى يلهث خوفاً ، كلازمة له ، من لوازم طبعه الكلابى ، سواء فى حال ما إذا اضطهد .. أو فى حال عدم اضطهاده . فيقول تعالى :

« **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا** (وآيات الله هى كتاب هدايته على يد رسول من رسله) **فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين** . (وليس من يؤتى كتاب الله ثم ينسلخ منه : شخصا معينا . وإنما هو كل من اتبع هواه ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) .

« **ولو شئنا لرفعناه بها** (وكان فى مقدور المشيئة الإلهية أن تساعد كل من بلغته رسالة الله على أن يسمو بها ، إن كانت لديه أهلية وصلاحية لقبول الرسالة والإيمان بها) .

« **ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه** ، (أى ولكن من انسلخ عن رسالة الله واتبع هواه فغوى : ليست لديه صلاحية لقبولها . إذ أنه اطمأن

حينئذ إلى الدنو ، وركن إلى خصائص المادة فيه ، وهو السقوط إلى مجالى المعدة والفرج . أى إلى مصدرى الشهوة فيه . ومن ثم : يتبع هواه ويطغى فيه ، دون أن يتبع هداية الله . ويصعب عليه آنئذ أن يتحول من حال التبعية لهواه .. إلى حال السيادة والتحكم فيه) .

« فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون » (٤) ..

.. وإذا كان اتباع هوى النفس أمارة مميزة على عدم الإيمان بهداية الله ، وخاصة من خواص الجانب المادى فى الإنسان .. فإن الانتقال منه إلى اتباع هداية الله هو انتقال من النقيض إلى النقيض ، يتوقف نجاحه على إرادة قوية وجهاد للنفس وهواها . ومن تتوافر لديه هذه الإرادة فإنه سيجد العون من الله فى تحوله من الجانب المادى فى طبيعته إلى الجانب الآخر فيه ، وهو جانب السمو إلى مستوى العقل والحكمة والقلب .

وتعبير القرآن هنا : بالخلود إلى الأرض واتباع الهوى : تعبير قصد منه نفى العزم والإرادة عند من ينسلخ من آيات الله ورسالته ، فلا يؤمن بها . ولذا لا يصلح أن يكون موضعا لعون الله على اجتيازه ذلك الممر الذى يمثل خط النقلة من الكفر .. إلى الإيمان . ومشيئة الله إذن فى شأن الهداية : مرتبطة بمشيئة الإنسان نفسه نحو الإيمان . على معنى : أن من يفتح قلبه للإيمان بالله : يجد طريقه إليه ميسرا ، بإرادة المولى جل جلاله :

« ومن يؤمن بالله يهد قلبه » (٥) (أى من يتجه إلى الإيمان بالله : يهد الله قلبه إليه ، ويشرحه له ، وييسر عليه شأنه) .

* * *

● الميل الى الشح :

.. والظاهرة الثانية من ظواهر الجانب المادى فى الإنسان : ميله إلى الشح :

---

(٤) الأعراف : ١٧٥ — ١٧٧

(٥) التغابن : ١١

« قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذن لأمسكتم خشية الانفاق ، وكان الانسان قتوراً » (٦) .. إذ الشح طبع فى النفوس الباقية على أنانيتها : يحمل على المنع ، والقبض على ما للإنسان ــ أيا كان ما يملكه ــ ، بحيث لا يصيب غيره ، وإن كان هذا الغير ذا حاجة إليه . وليس الشح عادة تتكون فى الإنسان .. وبذلك يختلف عن البخل الذى هو الإمساك عن إنفاق المال : على النفس ، أو على الآخرين : فقد لا يكون البخيل شحيحا بطبعه . وإنما بخله جاء كعادة تكونت فيه لظروف معينة .

وآثار الشح على سلوك الإنسان وموقفه فى الحياة : هى آثار سلبية لا تبلغه إلى هدف إنسانى فى حياته . وينظر القرآن إلى الأموال والأولاد ــ وهى ما يعتز بها الإنسان ، ويحرص عليها شأنا ــ على أنها اختبار ، وفتنة ، كأى أمر أو متعة مادية فى حياة الإنسان . وعن طريق الاختبار فيها تتضح مادية الإنسان ، إذا كان شحيح النفس حيالها . وفى الوقت ذاته : يوصل شح النفس فيها إلى سلبيات ، تعكس قبوله للمذلة فى سبيل الشح كطبع فيه . وفى مقدمة هذه السلبيات : عدم النجاح فى قيادة نفسه ، أو فى صلاته بغيره . فيقول الله تعالى :

« انما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم . فاتقوا الله ما استطعتم (أى اسلكوا خط الهداية الإلهية ، متجنبين موقف الماديين فى بقائهم فى حيز الأنانية) **واسمعوا** (أى ليكن لديكم وعى لما يوحى به الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم) **وأطيعوا** (أى ونفذوا ما تسمعون : عملا ، وقولا) **وأنفقوا** (أى وعلى وجه الخصوص : تطيعون ما يوجبه الله عليكم فى أموالكم) **خيراً لأنفسكم** ، (أى وما تباشرونه من : وعى لما يوحى .. وطاعة له .. وإنفاق من أموال لكم : هو لمصلحتكم أولا ، وليس لمصلحة صاحب الهداية والرسالة ، لأنه غنى عن العالمين) .

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٧) .. (والذى ينفق من فضل الله عليه ، حسب ما أوجب الله : يقيم وقاية له فى محيط حياته . تقيه مرض شح النفوس ، كطبع لا يغيره إلا الإيمان بالله ، والطاعة لأوامره

---

(٦) الاسراء : ١٠٠ (٧) التغابن : ١٥ ، ١٦

ونواهيه . ومن جعل بينه وبين هذا المرض الإنسانى وقاية تقيه منه : فإنه يكون قد أعد نفسه بعدة النجاح والفلاح : مع أهواء نفسه وشهواتها .. ومع أحقاد الآخرين وسموم حاجاتهم) .

.. وفى وصف القرآن لموقف الأنصار فى المدينة من توزيع أموال الفيء التى أصابها المؤمنون ــ بعد عودتهم من غزوة الخندق ، أو غزوة الأحزاب ــ من يهود بنى النضير وقريظة بعد حصار دام عدة ليال : يعقب بقول الله تعالى : « **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » . . .. إشارة إلى أن الأنصار قد نجحوا فى موقفهم ، بعد أن سادوا على الجانب المادى فى طبائعهم بإيمانهم . ذلك الجانب الذى يعد الشح ظاهرة من ظواهره الرئيسية .

فما أن وصل رسول الله إلى المدينة عائداً من القتال فى غزوة الخندق : حتى جاءه جبريل عليه السلام يحمل إليه أمر الله بالخروج إلى بنى النضير وقريظة . إذ قد انتهز هؤلاء اليهود فرصة غزوة الخندق ونقضوا العهد واتفقوا مع قريش وغطفان على حرب النبى صلى الله عليه وسلم . ففاجأهم عليه السلام بحصار ديارهم ، حتى نزلوا على حكمه وخرجوا عن ديارهم وأموالهم للمؤمنين . وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة الحشر :

« **هو الذى اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر** (أى بالجلاء **ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا** (وذلك بمفاجأة المؤمنين لهم بالحصار) **وقذف فى قلوبهم الرعب ،** (عن طريق إحكام الحصار حول ديارهم) **يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين** (وكانت نتيجة المفاجأة بحصار ديارهم : أن باشروا هم أنفسهم هدمها ، يأسا من البقاء فيما استوطنوه حتى الآن) **فاعتبروا يا أولى الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب النار** » (٨) . .

.. وهكذا انتهت أموال اليهود إلى المؤمنين بدون قتال معهم . وتأخذ هذه الأموال عندئذ : اسم الفيء بمعنى العائد . على نحو ما يقول القرآن :

---

(٨) الحشر : ٢ ، ٣

« **وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب** (أى فما تحملتم فى سبيله مشقة السفر على الخيل أو على ما يركب من الابل . ولكن وصلتم بأقدامكم إلى ديار هؤلاء الأعداء) **ولكن الله يسلط رسله على من يشاء** » (٩) .. (**أى ولكن حصول المؤمنين على أموال** أعدائهم هنا بغير قتال كان نتيجة لمبدأ عام تتمثل فيه إرادة الله . وهو مبدأ تكليف الرسل بتنفيذ نوع معين من التدابير . على نحو ما كلف الرسول عليه السلام بحصار بنى النضير وقريظة) .

.. وعند توزيع مال الفيء قسم الرسول عليه السلام أموال بنى النضير على المهاجرين . ولم يعط من الأنصار ، إلا ثلاثة نفر محتاجين . وقال عليه السلام للأنصار :

« إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديارکم ، وشاركتموهم فى هذه الأموال ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ، ولم يقسم لكم شيء منها » . فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بهذه الأموال ولا نشاركهم فيها . فنزل قول الله تعالى :

« **والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم** (ويقصد الأنصار . لأنهم سبقوا المهاجرين إلى سكنى دار الهجرة ، وهى يثرب ، وآمنوا بالرسول عليه السلام فى لقاء ــ من لقاءات الحج ــ به عليه السلام قبل هجرة المهاجرين إليها ، بعد أن كانوا أصحاب وثنية مادية تلتصق بطباعها : الأنانية . والشح) **يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا** (**أى** مما أعطى لهم من أموال الفيء التى أخذت من يهود بنى النضير وقريظة حول المدينة فنفوس أولئكم الأنصار لم تطمح إلى شيء مما سلم للمهاجرين من هذه الأموال) **ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة** ،(أى ومع كون الأنصار لم يتأثروا بما أعطى للمهاجرين دونهم .. فإنهم كانوا كذلك يؤثرون بما لديهم من مال رغم حاجتهم هم إليها فى تفريج شدائدهم) **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » (١٠) .. (فهؤلاء الأنصار بموقفهم من المهاجرين : فى عدم الحقد عليهم عندما أعطوا

---

(٩) الحشر : ٦ (١٠) الحشر : ٩

من الفيء دونهم .. وفى إيثارهم اياهم بأموالهم مع حاجتهم هم إليها : يضربون المثل فى وقاية النفس من شحها كطبع فيها . ولذلك هم ناجحون . لأنهم استطاعوا التغلب على شهواتهم ، كما استطاعوا أن ينقذوا إخوانهم من العوز والحاجة) .

.. فوضع الأنصار هنا إذ ينم عن تخلصهم من الشح ، كطبع فى النفوس ، بفضل قوة إيمانهم .. فإنه ينم من جانب آخر كذلك عن : أن هذا الشح يكون شيمة وطبعا للإنسان ، إذا لم ينتقل من أنانية ذاته بفعل الإيمان وقوة تأثيره فى الانتقال .. إلى معنى : المشاركة الإنسانية بين الأفراد جميعا .

* * *

● **الركون الى المحسوس :**

والظاهرة الثالثة من ظواهر الجانب المادى فى تكوين الإنسان : ظاهرة الركون إلى المحسوس والمشاهد . فالناس بحكم طبيعتهم قبل الهداية يؤثرون المنافع والمتع الدنيوية على كل قيم ومثل إنسانية .. ويؤثرون الموجود المشاهد من المصالح المادية القائمة على تلك الأخرى التى يوعدون بها فى الدار الآخرة . ولا يطمئنون إلا لما بين أيديهم ، ولا يسعون إلا للحصول عليه ، مهما كانت الطريق ملتوية ، ومهما ترتب على اقتناص المصلحة الشخصية من أضرار ونتائج سيئة للآخرين ، سواء أكانت هذه الأضرار مادية أو معنوية .

ولا يسمعون ولا يعون ما ينبهون إليه من العواقب الوخيمة : على الذات وعلى المجتمع ، بسبب الوقوف عند حد المحس من المتع والمنافع وحدها .. ولا يسمعون ولا يعون ما يذكرون به من أحداث الماضى وقوانين الحياة البشرية ، بسبب ارتكاب السبل التى تعبث بالقيم الإنسانية فى طريق الوصول إلى تحقيق المتعة المادية وحدها .

ومن أجل ذلك ينكرون الحياة الآخرة ، مثل ما جاء فى قوله تعالى :

« **وويل للكافرين من عذاب شديد . الذين يستحبون الحياة الدنيا** (وهى الحياة المشاهدة والمحسة) **على الآخرة** (وهى الحياة المغيبة الموعود

بهـا) **ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً** ، (ومن أجل أنهم يقفـون بنظرتهم إلى الحياة .. وبسلوكهم فيها .. وبموقفهم من مشاكلها وأحداثها : على المحسوس وحده : يصدون أنفسهم وغيرهم عن طريق الهداية ، وهـو سبيل الله ، كمـا لا يريدون لهـذه الطـريق أن تبقى على اسـتقامتها) **أولئك فى ضـلال بعيد** » (١١) .. فهم ينكرون الحياة الآخرة ومتعها ـ وقد تكون متعا مادية كذلك تمثل نعيم الله فيها ـ كما ينكرون الاسـتقامة فى التوجيه .. وفى الفعل .. والتفكير .

وما فى الدنيا من مفاتن ومغريات : له وحده التأثير عليهم :

« **زين للناس** (أى كطبـع من طبائعهـم) **حب الشهوات من النسـاء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعـام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب** » (١٢) ..

وهؤلاء الذين يركنون إلى المحسوس وحـده ويقعـون تحت إغرائه ومفاتنه .. يسخرون عادة من أولئكم الذين يؤمنون بالقيم الإنسـانية فى حياتهـم ، ويـرون : أن ما فى الدنيـا إن هـو إلا متـاع مؤقت : « **زين للذين كفروا الحياة الدنيا** (أى تغرى الحياة الدنيا بمظاهرها الخلابة ومتعها المحسوسة : أولئك الذين يؤثرون البقاء على طبيعتهـم المادية) **ويسخرون من الذين آمنوا** (أى الذين يؤمنون بالله .. وبالغيب .. وبالدار الآخـرة ونعيمهـا أو عذابهـا) **والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة** ، (وإن كان المؤمنون فى واقع الأمر أسمى منهم منزلة فى الجزاء عند الله لهم يوم القيـامة) **والله يرزق من يشاء بغير حساب** » (١٣) (أى وأما الرزق فى الدنيـا لأى إنسـان ، فليس له دلالة على سـمو الإنسـان وتفوقه ، على من هـو قليـل الرزق . ولذا قـد يكون الـكافر صـاحب رزق واسـع فى دنياه ، بينـما المؤمـن لا يصيب لقمـة العيش إلا بمشـقة : « **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة** (أى فى الـكفر) **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون .ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليهـا**

---

(١١) ابراهيم : ٢ ، ٣
(١٢) البقرة : ٢١٢
(١٢) آل عمران : ١٤

يتكئون . وزخرفا ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين » (١٤) .. وإذن : المال ، والمتع المادية ، ونعيم الحياة ليست طريق التقييم للإنسان . وإنما طريقه : المستوى الإنسانى الذى يبلغه . وكلما اقترب مستوى الإنسان فى صفاته مما لله فى كمالاته .. كلما كان رفيع الدرجة والمنزلة فى الإنسانية . والرزق فى كثرته أو فى ضيقه ليس عامل تقدير على الإطلاق . إنما هو عامل تقدير فى نظر المادى الذى يؤمن بالمحسوس والمشاهد وحده) .

وإيمانهم بالمحسوس وحده يدفعهم إلى أن يقصروا الحياة البشرية على الحياة الدنيا وحدها : « **ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا** (أى والحياة الدنيوية هى حياة مستمرة للبشر . والتغيير فيها هو تغيير أجيال وأفراد . والنوع الإنسانى إذن ينتقل من أفراد كانوا أحياء بالأمس إلى أفراد آخرين خلقوا أحياء اليوم .. وهكذا : بدون انقطاع) **وما نحن بمبعوثين » (١٥) ..** (ولذا ليس هناك بعث .. أى ليست هناك حياة أخرى مغايرة للحياة التى عاشها الإنسان ويعيشها فى دنياه .. هى حياة واحدة ، والسعيد برزقه سعيد حقاً ، والشقى بحرمانه من تلك المتع المحسوسة شقى حقاً . ولا تعويض لمحروم ، ولا عقاب لمترف فاسد على فساده بسبب ترفه) .

* * *

.. والجانب المادى فى الانسان هو اذن جانب الميل فيه إلى :

ـ اتباع الهوى والشهوة ، والوقوف بالسعى عند متطلبات : المعدة .. والفرج .

ـ وإلى الإمساك والشح ، عن الذات وعن الآخرين .

ـ وإلى الركون إلى المحسوس والمشاهد ، فى المتعة .. والمنطق .. والتصرف .

وإشارة القرآن فى خلق الإنسان إلى : أنه من طين .. ثم من ماء مهين ،

---

(١٤) الزخرف : ٣٣ ـ ٣٥ (١٥) المؤمنون : ٣٧

هو إشارة إلى هذا الجانب المادى فيه ، الذى تعرف معالمه بهذه الميـــول الثلاثة فيه .

كمـــا أن إشـــارته فى خلق الإنســـان إلى : أنه صاحب ســـمع وبصر « **فجعلناه سميعاً بصيراً** » (١٦) .. أو إلى أنـــه صـــور بعـــد أن خلق « **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** » (١٧) .. أو إلى أنه ذو لباس يوارى سوأته ، وذو ريش يتزين به « **قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً** » (١٨) .. هو إشارة كذلك إلى جانب العقل والحكمة فيه .

وقد جمع القرآن الأمرين معاً فى ســـورة الســـجدة ، فى قول الله تعالى :

« **الذى أحسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين .** (والطين .. والماء المهين كلاهما يمثل التطـــور فى الجانب المادى لخلق الإنسان) ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ،** (والتسوية .. والنفخ فيه من روح الله مع السمع والبصر والفـــؤاد : تمثـــل جميعها الجـــانب العقلى أو الروحى .. **أو اللامادى فى** الإنسان) **قليلا ما تشكرون** » (١٩) .. (أى قلما تعبرون عن شكركم بالإيمان به على حسن خلق الله لكم) .

جانبان متقابلان فى الإنسان : جانب يشده إلى الدنو ، ويتركز فى حب الذات أو فى الأنانية .. وآخر يحاول السمو به عن الدنايا ، وتوطينه فى محيط القيم العليا للإنسان . وهى قيم التعاون .. والمشاركة .. والمودة .. والأخوة . والإنسان بذلك ثنائى ، وإن كان فى إطار الوحدة الواحدة ، وهى الوحدة الإنســـانية . والإنســـان بذلك أيضـــاً فى صراع نفسى وداخلى ، وإن بدا الانسجام على ظاهره ، كوحدة واحدة .

هناك إذن من بين البشر نفس أو ذات أمارة بالسوء .. وهناك كذلك نفس أخرى أو ذات لوامة ، أى تلوم نفسها على عدم الاستزادة من فعـــل الخير . رغم أن كل نفس أودع فيها العقل للتمييز بين الفجور والتقوى ..

---

(١٦) الانسان : ٢
(١٧) الاعراف : ١١
(١٨) الاعراف : ٢٦
(١٩) السجدة : ٧ ـ ٩

وبين القبيح والحسن « **ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها** » (٢٠) (أى أودع فيها الطاقة على التمييز بين المتناقضين) .

والتركيب الثنائى فى الإنسان قصد به إذن : أن يهتدى الإنسان بعقله ، ويتغلب عن طريقه على ميوله نحو المادى فى حياته وحده ، وبالأخص تلك الميول التى تمثل جانبه المادى . وهى : الميل إلى اتباع الهوى .. وإلى الشح .. وإلى الركون إلى المحسوس . ولكن الشد .. والجذب بين هذين الجانبين فيه : ينتهى فى نهاية المطاف إلى سيطرة الجانب المادى على الجانب العقلى والروحى فيه ، إذا لم يحزم الإنسان أمره باتباع طريق الإيمان بالله : « **ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون** » (٢١) .. « **قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها** » (٢٢) .. (أى أنقصها باتباع الشهوة والهوى) .

ومن أجل هذه الثنائية فى الإنسان يتنوع الناس فى المجتمعات والأمم إلى نوعين : نوع يجنح إلى السوء والشر ، وهو شياطين الإنس والجن .. ونوع آخر يترفع عن السوء والشر ، ويسلك طريق الله فى علاقات الناس بعضهم ببعض ، وهو أولياء الله ، أو عباد الرحمن :

« **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » (٢٣) ..

« **وما ابرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى** » (٢٤) .. (بالإيمان والهداية ، فينتقل من النوع الشرير .. إلى الآخر الخير) .

.. وكل نوع من هذين النوعين ليس مكرهاً على السلوك المعين الخاص به . بل هو مريد ومختار لطريقه فى الحياة : إن فى الجانب المادى ، واتباع المادية فى حياته .. وإن فى الجانب العقلى أو الروحى ، واتباع هداية الله فى منهج الحياة الذى ينتهجه . وترتبط بإرادة الإنسان لأى من هذين الاتجاهين : إرادة الله ومشيئته فى التوجيه :

---

(٢٠) الشمس : ٧ ، ٨
(٢١) المؤمنون : ٧١
(٢٢) الشمس : ٩ ، ١٠
(٢٣) الفرقان : ٦٧
(٢٤) يوسف : ٥٣

« **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجِنّة والناس أجمعين** » (٢٥) .. وقضاء الله بأن يملأ جهنم من القوى المعهودة ، وهى الناس ، والقوى الأخرى غير المعهودة ، وهى الجِنّة : هو قضاء يترتب على ثنائية الإنسان وتنوعه فى التوجيه إلى مؤمن .. أو كافر . وإلى مادى ، أو روحى .. وإلى محسن ، أو مسيء .. إلى متبع الهوى والشيطان ، ومتبع الهدى ورسالة الله .

.. وظهر انقسام الناس وتنوعهم إلى هذين النوعين بعد أن أرسل الله برسالته إليهم :

« **كان الناس أمة واحدة** (وهم نواة البشرية الممثلة فى آدم وحواء) **فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** » (٢٦) ..

* * *

● **ما تدعو اليه هداية الله :**

وما تدعو إليه هداية الله : هو عدم الطغيان بالجانب المادى وبالمتع المادية فى الحياة ، وليس الحرمان من هذه المتع أو اعتزال الحياة الدنيا كلية :

« **كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ، ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى** » (٢٧) .. (أى سقط فى هاوية الدنايا والمهالك) .

.. وما تدعو إليه هداية الله ، هو ما يدعو إليه العقل الإنسانى عند استقلاله وعدم تبعيته للهوى . أى لو قدر للعقل الإنسانى أن يتجرد عن هذه التبعية لكان منطقه هو منطق الهداية الإلهية . ولكنه لا يستطيع أن يتجرد إطاقا عن هذه التبعية . والتجربة التى مر بها آدم وحواء — وهى التجربة فى طاعة الله عندما نهاهما عن الاقتراب من إحدى

---

(٢٥) السجدة : ١٣ (٢٦) البقرة : ٢١٣

(٢٧) طه : ٨١

أشـــجار الجنـــة : تثبت أن العقـــل الإنســـانى لا يقـــدر وحـــده على أن يدرك طـــريق الســـــلام والأمان للذات من : الزلل والأخطـــــار : **« ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً »** (٢٨) .. **« ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهـــم ما كانوا به يستهزئون »** (٢٩) ..

.. فقد جاء فى سورة الأعراف ــ تعبيراً عن الأمر بهذه التجربة ــ قول الله تعالى :

« ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (٣٠) ..

.. ولكن الجانب المادى فيهما ــ وهو الميل إلى اتباع الهـــوى ــ لم يمكنهما من سلوك طريق الهداية الإلهية ، بطاعة ما أمر الله به ، وما نهى عنه فى هذه التجربة . وجاء التعبير عن عدم طاعتهما ، فى قول الله تعالى فى السورة نفسها :

« فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما (أى بدا لهما نقصهما ، وهو عدم بلوغ المستوى الذى كان ينتظر لهما ، بسبب تصوير الله للإنســـان ، بعد خلقه كما جاء فى قوله : **« ولقد خلقناكم ثم صورناكم** (وبذلك أصبح الإنسان بالتصوير فى طبيعته الثنائية يتميز عن الملك فى طبيعته المفـــردة ، وأمر الملك لهـــذا بالسجود لآدم) ثم **قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »** (٣١) .. (وهذا المستوى الذى لم يصله آدم وحواء فى هذه التجربة هو مســـتوى الاســـتقلال فى تقـــدير الأشـــياء وفى طاعـــة الله)**وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة »** (٣٢) . (أى وأخذا من شدة الحيرة وغلبة الحياء عليهـــما بعد إكرام الله لهما بالعقل وتفضيلهما على الملائكة .. يحاولان التستر على نقصهما فى التبعية لهواهما بما لا يسترهما فى واقع الأمر) . .ولم يجـــدا أمامهما آنئذ فى مواجهة الله عز وجل إلا أن يعترفا بخطئهـــما ويطلبا المغفرة

---

(٢٨) طه : ١١٥
(٢٩) الاحقاف : ٢٦
(٣٠) الأعراف : ١٩
(٣١) الأعراف : ١١
(٣٢) الاعراف : ٢٢

والرحمة : « **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** » (٣٣)

.. وقد استجاب الله سبحانه لما تضرعا إليه بالغفران ، فغفر لهما هذه الخطيئة . ولكن أنزلهما من الجنة ، ووضع نسلهما من بنى الإنسان فى الدنيا بعدهما : موضع التجربة فى الطاعة لله .. إلى يوم أن يشاء الله إنهاء هذه الدنيا بقيام الساعة ، ووقوع الجزاء لمن نجح أو رسب فى هذه التجربة الدنيوية . عبر القرآن عن ذلك بقوله :

« **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو** » (والخطاب بالهبوط هنا لآدم وحواء ، ومعهما إبليس أيضا . وإن كان قد خوطب إبليس بمفرده من قبل بالهبوط فى قوله تعالى : « **قال فاهبط منها** » (٣٤) .. ولكن ضم إبليس مع آدم وحواء هنا فى خطاب الهبوط .. ليشير إلى أن هناك تلازما فى التجربة بين طرفى الصراع ، لا يفترق الإنسان فى حياته عن إنسانيته الممثلة فى عقله ، ولا عن شيطانه الممثل فى جانبه المادى أو فى شهوته وهواه) .

« **ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين** » (أى لآدم وحواء ـ وأبنائهما من بعدهما ـ ولإبليس استقرار فى هذه الحياة الدنيا إلى وقت معين) .

« **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** » (٣٥) .. (وفى هذه الدنيا ينشأ بنو آدم ـ وأتباع إبليس منهم ـ ويموتون فيها .. ثم يبعثون من قبورهم للجزاء) .

.. كما استجاب سبحانه لما طلباه من رحمة ، فأرسل رسله إلى بنى آدم : فى مجتمعات وأمم : الواحدة بعد الأخرى .. وفى أجيال : جيلا بعد آخر .. وفى فترات الزمن : فترة بعد أخرى . وأرسلهم بهدايته وبكتابه ليعين نسل آدم على التغلب على الجانب المادى فى الإنسان .. ليعينه على عدم الطغيان باتجاهه المادى .. ليعينه على عدم اتباع الهوى ، والشح

---

(٣٣) الأعراف : ٢٣ (٣٤) الأعراف : ١٣
(٣٥) الأعراف : ٢٤ ، ٢٥

والركون إلى منطق الحس والمشاهد وحده .. ليعينه على أن يكون ذا منطق إنسانى . وهو منطق الحكمة والروحية ، وليس منطق المادية . وتعبيراً عن استجابة المولى هذه ، ورحمة ببنى آدم ، يقول سبحانه :

« **يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً** (ويعنى باللباس كتاب الله ورسالته) **يوارى سوءاتكم** (أى هذا اللباس أو الكتاب يعينكم على ستر النقص فيكم ، وهو عدم قدرة العقل لديكم على السيادة على الجانب المادى فيكم دائماً) **وريشاً** ، (وفى الوقت نفسه هذا الكتاب زينة ، لأنه يجملكم ويزينكم بقلة الخطأ فى سلوككم وتفكيركم إن اتبعتم هدايته) **ولباس التقوى ذلك خير** » (٣٦) (وهذا اللباس الذى يحمل على تجنب الأخطاء واتقاء الزلات هو خير أنواع اللباس . إذ يبدو الإنسان الذى تستر به فى أجمل صورة وأبهاها) .

.. وزينة الماديات ليست زينة تجمل من اتبعها وطغى بها . وإنما الزينة الحقيقية : زينة تجنب الأخطاء فى السلوك ، والتفكير : هى تلك الزينة التى تتفق مع مستوى الإنسان ، ومع ما تميز به عن المخلوقات الأخرى : بعقله وإدراكه .

فما فى الدنيا فى واقع الأمر هو لهو ولعب ، وزينة خادعة . وتفاخر بالجاه والأنساب ، وتكاثر فى الأموال والأولاد « **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما** » (٣٧) .. فما فى الدنيا ينتهى إذن إلى عدم .. أو إلى : لا شىء .

ولهذه القيمة الضئيلة لماديات الحياة ومتعها المحسوسة لا يقيم مالكها — فى نظر الهداية الإلهية — بمقياس الرضاء عند الله ، ولا المحروم منها بمقياس غضبه عليه .

« **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة** (أى جماعة واحدة فى الكفر) **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون** .

---

(٣٦) الأعراف : ٢٦ (٣٧) الحديد : ٢٠

ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون . وزخرفاً ، وان كل ذلك لما متـــاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين » (٣٨) .. (أى لأعطيناهم منهـا الكثير . لأن امتلاكها لا يدل على مستوى رفيع فى الإنسانية ، ولا على قبول عند الله ، بل يعطى الناس متع الحياة : للابتلاء بها . والذين يطغون بهـا ويركنون إليها وحدها مصيرهم عند الجزاء هو مصير المخربين والفاسدين والعابثين) .

« ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنـا غافلون . (وهذه الصفات الأربع ــ التشكك فى الآخـرة والبعث .. والرضاء بالدنيا وحدها .. والاطمئنان بها والإعراض عن رسالة الله ــ هى صفات الماديين الذين يتبعون أهواءهم ، ويشحون بما فى أيديهم ، ويركنون إلى المحس وحده : فى المنطق والتصرف .. هى صفاتهم التى تلازمتهم فى كل عهـــد : فيـما مضى .. وفيـما هو حاضر .. وفيـما هو آت) **أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون »** (٣٩) ..

* * *

● **ما تطلبه الهداية من موقف :**

وما تطلبه هذه الهداية الإلهيـة من موقف ، إزاء هـؤلاء الماديين هو الإعراض عنهم .. هو عدم وضعهم موضع الأمل فى الاسـتجابة لدعـوة الإنسانية من : المودة .. والتعاون .. والصداقة .. هو الحذر والحيطة منهم : **« فأعرض عن من تولى عن ذكـرنا ولم يرد الا الحيـاة الدنيـا »** (٤٠) .. (أى لا تتجه إلى هؤلاء الماديين الذين تعرف سـماتهم برفض كتـاب الله وقرآنه ، إن لم يكن رفضا صريحا فهو رفض عملى ، وصد عن سبيل الله .. وبالتركيز على الحياة الدنيوية ومتعها المادية المحسوسة وحدها . ومن يرفض كتاب الله يرفض الإيمان بالله والعمل بما قام عليه . ومن يركز على الدنيـا وحدها يتشكك على الأقل فى البعث أى فى انتهاء الدنيا ، إن لم ينكره ، كما يركن إلى الدنيا ويطمئن بها وحدها) .

---

(٣٨) الزخرف : ٣٣ ــ ٣٥ (٣٩) يونس : ٧ ، ٨

(٤٠) النجم : ٢٩

والإسلام لا يطلب هذا الموقف السلبى وحده . بل قبله يطلب الموقف الإيجابى وهو الإيمان بهداية الله والعمل به . والعمل بالإيمان هو العمل بحكمة الإنسان وعقله . أى من يسير على هداية الله يسير فى الواقع وفقاً لمقتضيات العقل لو تجرد الإنسان عن التأثر بجانبه المادى . وليس إذن بين الوحى والعقل إلا التطابق . ولأن العقل قد يجنح ، يكون الوحى معياراً لصحته ، وليس العكس :

« **واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك ، لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا** » (٤١) .. (أى لا تجد سوى القرآن ملجأ تلجأ إليه فى الهداية) .

ومع الإيمان والعمل بكتاب الله : التضامن التام مع أولئكم الذين يلتزمون الإيمان بالقرآن ، ويتجهون إلى الله فى كل لحظة من لحظات حياتهم : « **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه** » (٤٢)

.. وبجانب هذا الموقف الإيجابى القائم على الإيمان والعمل بكتاب الله ، وعلى التضامن مع المؤمنين به المخلصين لربهم : يكون إذن الموقف الآخر . وهو الإعراض وعدم الطاعة لصاحب الاتجاه المادى فى الحياة : « **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا** (وهو كتاب الله) **واتبع هواه وكان أمره فرطا** » (٤٣) .. (أى وتجاوز فيه الأمر بالطغيان والتبعية لهواه) ..

والإسلام بتحديد هذا الموقف المزدوج من أصحاب الجانب المادى ، لا يقبل من المؤمنين به الإعراض عن المادية والماديين فقط ، فضلا عن عدم قبوله منهم : التقرب إليهم بالمودة : وإنما مع الإعراض عنهم يطلب القرآن :

أولا : العمل بكتاب الله .

ثانياً : التضامن التام مع المؤمنين به .

والمادية ــ التى تمثل الجانب المادى فى طبيعة الإنسان ــ إذن : ليست اعتقاداً فى أصنام أزيلت وانتهى أمرها بفتح مكة . إنما المادية اتجاه إنسانى فى طبيعة الإنسان ، يساوق اتجاه العقل فيه سواء بسواء ، ولكن عندما

---

(٤١) الكهف : ٢٧
(٤٢) الكهف : ٢٨
(٤٣) الكهف : ٢٨

يبالغ الإنسان فى اتباع هواه .. وفى الميل إلى الشـــح .. وفى الركون إلى المحسوس وحده . والماديون ليسوا هم مشركى مكة وعبدة الأصنام فيهـا حول الكعبـة وحدهم ، وإنما هم أولئكم الذين يتولون عن كتاب الله فى كل وقت ، ولا يريدون إلا الدنيا وحدها .. هم الذين لا يرجون لقاء الله فى الآخرة .. هم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حـرم الله ورسوله .

وتعبير القرآن عن الشرك ، هو تعبير عن المادية . وتعبيره عن المشركين ، هو تعبير عن الماديين . وموقفه من الشرك والمشركين ، هو موقفه من المادية والماديين .

* * *

.. وبالبعث .. وبوقوع الجزاء .. وبدخول الإنسان مرحـلة الحيـاة الثانية ــ وهى حياة الآخرة ــ تنتهى الغاية من ثنائية الإنسان بين الجانب المادى ، والجانب العقلى ، أو الروحى فيه . إذ خلق الإنســان على هــذه الثنائية كان من أجل التجربة فى الحياة الأولى ، وهى حياة الدنيا .. كان من أجل تجربة الإيمان والكفر .. والطاعة ، والعصيان لأوامر الرســالة الإلهية .

ومتع الدنيا كانت للابتلاء والاختبار ، بينما متع الجنة فى الآخرة هى للجزاء .. ونعيم الدنيا ذو متعة خادعة .. بينما نعيم الجنة ذو متعة صادقة . وبينما ثنائية الإنسان كانت فى الدنيا ذات فاعلية فيما بين طرفيها .. هى فى الآخرة ذات انسجام بين هذين الطرفين .

آدم كان فى الجنة ، ونعيمها إذ ذاك كان نعيما ماديا . والمؤمنون من بنى آدم سينتهى أمرهم إليها ، ونعيمها كذلك نعيم مادى ، لا يتغير إلا من حيث النوع والقيمة :

« مثل الجنة التى وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهــار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم » (٤٤) ..

(٤٤) محمد : ١٥

« ان المتقين فى جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون . متكئين على سرر مصفوفة ، وزوجناهم بحور عين . والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء ، كل امرىء بما كسب رهين . وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون . يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم . ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » (٤٥) ..

فلا يقال الآن : إن المتقين فى الآخرة ماديون ! .

ولا يقال كذلك : إن جزاء الله للمؤمنين به فى الآخرة هو دفعهم إلى الاتجاه المادى والمادية ! .

لا يقال هذا .. ولا يقال ذاك . لأن المادى هو من عصى ربه فى تقييم المتعة المادية فى الدنيا : فى الإقبال عليها .. وفى الوقوف عندها وحدها .. وفى الإسراف فيها ، دون اعتبار لآخرين معه فى مجتمعه وأمته ، ولأن المادية هى الطغيان بالمتع المادية المتاحة للإنسان .

ولكن المؤمنون فى إقبالهم فى الجنة على جزاء لهم بالمتع المادية لم يكونوا عصاة فى مخالفتهم أمراً له سبحانه فى الاستمتاع بها ، ولم يكونوا أيضاً مسرفين فى الاستمتاع بها ، حتى يعتدى بعضهم بإسرافه على البعض الآخر .

إن بغض الله للماديين وللمادية فى الدنيا هو لما يعود إلى الأنانية التى تنبثق عنها ، والتى تضعف كل مشاركة فى القيم الإنسانية .. وتؤهل بعد ذلك للاعتداء ، أو إلى الشحناء والبغضاء بين الناس بعضهم بعضاً .. كما تؤهل للعبث والفساد والطغيان . فالأنانى يسرف فى استمتاعه بالمتع المادية أن يعبث أو يطغى بها ، ولا يشرك ذا حاجة إليها فيها . والأنانى يرتكب الجرائم الاجتماعية .. يرتكب الاعتداء على العرض بالزنا ، وعلى المال بالسرقة ، وعلى النفس بالقتل : فى سبيل تحقيق شهوته أو اتباع هوى فى النفس . والمجتمع الأنانى ــ وهو المجتمع المادى ــ يستغل مجتمعاً آخر أضعف منه . ويعتدى على كل قيمه ، ويميت شخصيته ، ويذهب باستقلاله فى سبيل تحقيق هدف استعمارى له ، والأنانى يظلم ولا يعدل ، ويكذب ولا يصدق .. ويعد ثم يخلف ، مرضاة لنفس أمارة بالسوء .

---

(٤٥) الطور : ١٧ ــ ٢٤

أما المؤمنون فى استمتاعهم بالمتع المادية فى الجنة ، فقد صاروا إلى جزائهم الأخروى ، وهم إخوان متحابون .. أى وهم مشاركون بعضهم لبعض فى القيم الإنسانية :

« **ان المتقين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين** .(متكافئين) **لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين** » (٤٦) .. فهم فى آخرتهم بأخوتهم وبملاءمة بعضهم لبعض ، وبزوال الحقد من نفوسهم : قد حققوا رسالة الله التى ناشد الناس جميعاً أن يحققوها من قبل فى دنياهم ، وليس هنالك تحديد لما يشاءون هنالك : « **ادخلوها بسلام ، ذلك يوم الخلود . لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد** » (٤٧) .

ورسالة الله للإنسان على الأرض التى تطلب الروحية وتدفع المادية لا تتجاوز فى طلبها : أن يلائم الإنسان بين طرفى ثنائيته .. أى بين جانبه المادى وجانبه العقلى أو الإنسانى .. ثم بين كل إنسان وآخر فى الحياة معه فى مجتمعه .. أى تطلب التوازن والعدل .

والمادية هى اتجاه نحو الإخلال بالتوازن ، وبالعدل . وهى إذن مصدر إضرار وإيذاء .

والماديون فى كل مجتمع هم مصادر الضرر فيه .

وإذا كانت الروحية التى تطلبها الرسالة الإلهية هى التوازن والعدل : فالمؤمنون فى استمتاعهم بالجزاء المادى الأخروى ، عدول فيما بينهم ، ومتوازنون فى علاقات بعضهم ببعض . ولذا لم يكن فى صدورهم غل ، وكانوا إخواناً على سرر متقابلين ، لا يتميز أحدهم عن الآخر .

رسالة القرآن للناس فى دنياهم هى إذن :

دفع للمادية والماديين فى صراحة : « **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** » (٤٨) ..

---

(٤٦) الحجر : ٤٥ — ٤٨
(٤٧) سورة ق : ٣٤ ، ٣٥
(٤٨) التوبة : ٢٩

وتحقيق للروحية الإنسانية . .أو تحقيق للتوازن بين ثنائية الإنسان فى وحدته وفرده ، وللعدل الاجتماعى بين الناس كافة .

* * *

● **ما يستخلص من طبيعة الانسان ـ وهداية القرآن :**

.. الإنسان مخلوق من مادة : فالإنسان الأول ـ وهو آدم ـ خلق من طين :

« **الذى احسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين** » (٤٩) .. وسلالته بعد ذلك مخلوقة من ماء مهين : « **ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين** » (٥٠) ..

والإنسان من أجل ذلك محس مشاهد ، ويعيش فى عالم محسوس ، يدرك بالحس .

.. وعالم الإنسان عالم الإمكانيات المادية . كانت الجنة مقاماً للإنسان الأول ـ وهو آدم ـ والجنة ذات إمكانيات مادية عديدة « **ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما** » (٥١) .. وكانت الدنيا مقاما لنسله من بعده ، وهى كذلك ذات إمكانيات مادية عديدة : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا** » (٥٢) .. ففى الجنة كل ما تشتهيه النفس . وفى الدنيا كل ما يستمتع به الإنسان من نساء .. ومن عصبية فى قوة الأولاد والدم .. ووفرة فى الأموال من الذهب والفضة .. وزينة فى الخيلاء والفخفخة من الخيل المسومة .. ومصادر الرزق والقوت من أنواع الثروة الحيوانية والزراعية . ففيها ما تشتهيه الأعين .. والبطن .. والفرج .. وفيها ما تنشده النفس من جاه القوة فى الأموال والأولاد .

وتستوى الإمكانيات المادية للمتعة والزينة فى الأشباه والنظائر : فى

---

(٤٩) السجدة : ٧
(٥٠) السجدة : ٨
(٥١) الأعراف : ١٩
(٥٢) آل عمران : ١٤

الجنة والدنيا ، وإن اختلف ما فى الجنة عما فى الدنيا : فى النوع .. أو فى القيمة الذاتية لها .

.. وليس هناك نوع من الإنسان لا يأكل .. ولا يشرب .. ولا يشتهى المعاشرة الجنسية .. ولا يتطلع إلى الجاه والقوة المادية .

.. هل يعيش الإنسان منطلقا ، لا تحدد حياته قيود ؟ ..

هل يعيش دون أن يدخل فى إطار تنظيمى يحفظ عليه خطر الانطلاق .. أو خطر اللامحدودية .. أو خطر الهمجية ؟ .

وضع الإنسان الأول ــ وهو آدم ــ عندما وجد فى الجنة : أمام تجربة تنظيمية ، تحد من انطلاقه فى المتع المادية ، وتهىء له جواً إنسانيا حضاريا ، لا يقوم على الاستغراق فى المتع المادية وحدها ، يتفق مع ما ميزه الله به عن الملائكة : بالعقل والقلب ، على نحو ما قال : « **ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون** » (٥٣) .. فطلب إليه هنا من خالقه : أن يحدد استمتاعه بالإمكانيات المادية المتاحة له فى عالم جنته : « **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** » (٥٤) .. ولكن غلب عليه الانطلاق ، هو وزوجه : « **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما** » (٥٥) .. .. أى عرفا خطأهما ، وعدم نجاحهما فى التجربة .

ووضعت سلالة الإنسان الأول من البشر بعده أمام تجربة كبرى فيما وراء عالم الجنة .. فى الدنيا : « **يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون** » (٥٦) .. وهى تجربة تنظيمية ، على غرار تجربة الجنة لآدم وحواء .. وأمام إمكانيات مادية متاحة للاستمتاع ، وللجاه ، والقوة ، والزينة ، على غرار إمكانيات الجنة . وهدف هذه التجربة فى الدنيا هو كذلك : منع خطر الانطلاق على البشرية ، وخطر الفوضى فيها .. ثم دفع الإنسان عن طريق التنظيم فى الاستمتاع بالإمكانيات المادية القائمة ليعيش الناس فى عالم رغد ، تسود

---

(٥٣) السجدة : ٩
(٥٤) الأعراف : ١٩
(٥٥) الأعراف : ٢٢
(٥٦) الأعراف : ٣٥ ، ٣٦

فيه ، الأخوة الإنسانية .. والتكافؤ فى الاعتبار البشرى .. والمشاركة العادلة فى هذه الإمكانيات ، وليس التزاحم ، والتخاصم ، والتقاتل من أجل الاستمتاع بهذه الإمكانيات المادية .

وتجربة الدنيا أمام البشرية علمت للناس نتيجتها علما مسبقاً واضحا قبل أن تنتهى ، وهى لم تنته بعد . بينما تجربة الجنة لم تعرف نتيجتها لآدم وحواء ـ وهى الخروج من الجنة ـ إلا بعد أن انتهت . إذ أعلم الناس بنتيجة التجربة فى الدنيا : إما إلى الجنة من جديد .. وإما إلى النار ، برسالة الرسل من قبل الله : **« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داوود زبوراً . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيما »** (٥٧) .. أما نتيجة تجربة آدم فقد كان علمه بالعقاب الذى ترتب على عدم نجاحه فيها بالطاعة لأمر الله : علما متأخرا . وقد اختاره الله للرسالة إلى نفسه .. وإلى حواء معه ، وارتبط الأمل فى طاعته بما أعد به كإنسان : من عقل وإدراك . ولكن إخفاقه فى التجربة كان إخفاقاً للعقل البشرى ، وفى عدم استطاعته أن يحد مستقلا من انطلاق الإنسان : **« قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »** (٥٨)

.. ورسالة الرسل إذن هى تحديد أو تنظيم لانطلاق الإنسان فى الاستمتاع بالإمكانيات المادية القائمة على عالم الإنسان .

.. ورسالة الرسل بالتالى ليست انتزاعا للإنسان المخلوق من مادة ، وهو يعيش فى عالم الحس المادى ، وتحيط به الإمكانيات المادية لحياته . وجزاؤه فى الآخرة جزاء مادى . لأنها عندئذ لا تكون تنظيما للإنسان ولا إصلاحا بين أفراده ، ولا إحاطة له بجو حضارى إنسانى ، هو جو السلام .. والصفاء .. والتكافؤ فى الاعتبار ، بدلا من جو التخاصم والتقاتل بسبب الانطلاق فى الاستمتاع بالإمكانيات المادية فى عالم الإنسان .

---

(٥٧) النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥ (٥٨) الأعراف : ٢٣

.. والروحية ليست نقلا للإنسان من هذا الجـو المادى ، ولا قطعـا لصلاته به . لأنها عندئذ تكون ضارة بالإنسان ، أو عملا على إفنائه . وإنما الروحية هى التنظيم نفسـه لعملية اسـتغلال هـذه الإمكانيـات المادية واستخدامها : لصالح الناس جميعا .

.. والدين .. والروحية .. وتنظيم الانتفاع بإمكانيات الحياة المادية .. ورسالة الرسول .. وهداية الله : جميعهـا تسـتهدف عدم الانطـلاق فى الاستغلال ، واستخدام هذه الإمكانيات ، وعـدم الإخـلال بالتوازن بين الناس .

.. ووجود العقل البشرى فى الإنسان إنما هو لتقبل هذا التنظيم .. أو لتقبل الدين .. أو لتقبل رسالة الرسول .. وهداية الله . وأمارة قبـول التنظيم هو أن من قبله :

اولا : لا يسرف فى استخدام هذه الإمكانيات لو أتيح له منها قسـط كبير .

ثانياً : يشرك غيره ممن لم تتح له ـ أو أتيح له منها قسط ضئيل ـ فيما هو كائن لديه .

ثالثاً : يقر بالقيم العليا التى تمثلها صفات الله فى علاقته بغيره .. أو بعبارة أخرى :

يؤمن بجانب فى وجوده الإنسانى هو أرفع من وجود الإمكانيات المادية ، وهو وجود الله ، ووجود هدايته التى تحـدد إطار التنظيـم لاسـتغلال الإمكانيات المادية .

.. ويستهدف الدين ـ كما تستهدف الروحية ـ وتستهدف الرسـالة الإلهية : التوازن فى المجتمع البشرى القـائم على التـكافؤ فى الاعتبـار الإنسانى . وهذا التوازن هو ما يعرف أخيراً بالعدالة الاجتماعية .

.. أما المادية ـ فى مقابل الروحية .. أو فى مقابل الدين .. أو الرسـالة الإلهية ـ فهى تنزع إلى الانطلاق فى استخدام الإمكانيات المادية فى حيـاة

الإنسان . ومن ثم تنتهى : إلى الإخلال بالتوازن فى المجتمع البشرى .. أو إلى الحيلولة دون تحقيق العدالة الاجتماعية فيه . وأمارة الاتجاه المادى كنزعة تخل بالتوازن :

اولا : الإسراف فى استخدام المتع المادية ، واتباع الهـوى فى ذلك ، أو تحكم الأنانية .

ثانيا : الشح والإمساك عن الآخرين أصحاب الحاجة .

ثالثا : إنكار القيم العليا .. وبالتالى إنكار الله وصفاته التى تمثل هذه القيم .

.. وسيظل الإنسان على صلته بالمادة : إن فى تجربتـه بالدنيـا .. أو فى جزائه بالجنة أو النار فى الآخرة .. كما كان على صلة بها من قبل : فى خلقه .. وفى مقامه الأول بالجنة .

وتاريخ الإنسان هو تاريخ لتطوره مع المادة ، التى هى إمكانيـات العيش والحياة المادية .

وما يحصل فى مجتمعاته من تغيير : ناتج عن الصورة التى استخدمت بها هذه الإمكانيات المادية :

« واذا اردنا ان نهلك قرية (أى مجتمعـاً) امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (٥٩) ..

* * *

● **مجمل ما تدعو اليه هداية الله :**

ـ يحدد القرآن طبيعة الإنسان ..

ـ ويحدد ـ كذلك ـ وظيفة الرسالة الإلهية نحو هذه الطبيعة .

ـ ويبدو واضحا من تحديد هذه .. وتلك : أن وظيفة الرسالة الإلهية فى تحديد القرآن ، هى : تنظيم اتجاهات الطبيعة الإنسانية لإفساح مجـال

---

(٥٩) الاسراء : ١٦

لوجود القيم الإنسانية العليا ، وتحققها فى محيط الحياة للمجتمع الإنسانى : وهى قيم : السلام ، والتعاون ، والتكافؤ ، والأخوة بين الأفراد جميعا ..

وتحقيق هذه القيم يرتبط بتنفيذ هذا التنظيم وحده . أى يتحقق وجود هذه القيم كنتيجة لهذا التنظيم .

.. فالطبيعة الإنسانية فى الفرد ــ كما يراها القرآن ــ تتجه نحو الانطلاق فى السعى نحو الامتلاك ، للمحافظة على البقاء الذاتى .. وهو البقاء الفردى ، دون رعاية للبقاء النوعى فى المجتمع أو فى الأجيال المتعاقبة .

.. والرسالة الإلهية تنظيم هذه الطبيعة فيما تتجه إليه من تجميع وتملك للمال ، على نحو يبقى مجالا لمجتمع إنسانى يسوده : التكافل والتوازن .. أو العدل الاجتماعى .

وليس من وظيفة هذه الرسالة : نقل الإنسان من عالم مادى ، وجد من أصل من أصوله ــ وهو المادة ــ .. ونشأ فيه .. ويعيش فى جوه فقط .. إلى جو آخر غير مادى ، على النقيض منه . فجو الإنسان هو جو مادى : فى الخلق .. وفى النمو .. وفى الحركة .. وفى الحياة الأولى على الأرض .. وفى البعث من القبر .. وفى الحياة الآخرة فى الجنة ، أو فى النار .

.. والرسالة الإلهية لا تعزل الإنسان إذن عن هذا الجو . وإنما تحدد علاقته به فحسب .

وعن اتباع هذا التحديد يحل السلام محل التقاتل .. ويحل التكافل محل شره الأنانية أو انطلاقها .. ويحل التكافؤ فى الاعتبار البشرى محل الاستعلاء والاستضعاف .. وتحل المودة محل الحقد والاندفاع نحو سفك الدماء .

.. ورسالة القرآن لذلك ليست لفرد فى علاقته بالمسجد فقط دون علاقته بالآخرين ممن يسوسون الأمور ويقومون بالفصل بين الناس .. أو بمن يخضعون لهذه السياسة ويقبلون أمرهم بالفصل بينهم .. إذ طالما هذه الرسالة هى تنظيم لطبيعة الفرد ، وحد من انطلاقه : فهى تلحق طبيعة كل فرد فيما يباشره من أمر : صغر أو كبر .. كان خاصا أم عاما .

.. والرسالة الإلهية إذا كانت تنظيما للفرد فى علاقته بالمادة : إن فى السعى إليها ، أو فى امتلاكها .. فهى تقر النفع بالمادة كما تقر خيرها . وهى تقر هذا .. وذاك : منذ اللحظة الأولى لتبليغها للإنسان . **« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين »** (٦٠) ..

.. وشرها ليس فى ذاتها . وإنما هو فى الإسراف فيها ، أو فى الانطلاق نحو اقتنائها وامتلاكها وحبس ما يقتنى أو يمتلك عن أصحاب الحاجة .

إن ما يسمى إذن بوجود الإمكانيات الاقتصادية ـ أو بالإمكانيات المادية ـ فى معيشة الإنسان ، هو موضوع التنظيم لما جاءت به الرسالة الإسلامية .

والموازنة بين الإسلام من جانب وبين النظم الفلسفية التى تعالج تنظيم هذه الإمكانيات من جانب : هو فى الآثار الإيجابية أو السلبية التى تترتب على تطبيق أى منهما .

فشعار المؤمن نحو غيره فى مجتمعه ـ كما جاء فى وصف الأبرار فى سورة الإنسان فى قوله تعالى هو : **« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا »** (٦١) .. وهو شعار أداء الواجب لذاته .. وشعار المشاركة أو التكافل الاجتماعى ، حبا فى الله وإيمانا به ، وفى المصلحة العامة . والنداء الذى يوجه للمؤمنين عامة فى شأن ما يقتنى هو : **« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلال »** (٦٢) .. هو إخلاص لله فى الطاعة .. وإنفاق فى سبيل الله والخير العام مما يملك الإنسان . أما شعاره نحو نفسه ، فهو كما جاء فى الحديث الشريف : « المؤمن يأكل ويشرب فى معى واحدة (أى لا يأكل كثيراً ليفيض عنه لغيره) ولكن الكافر يأكل ويشرب فى سبعة أمعاء (أى يفرط فى الأكل والشرب ، لأنه لا يفكر إلا فى ذاته) .

---

(٦٠) الاعراف : ٣١ (٦١) الانسان : ٨ ـ ١٠

(٦٢) ابراهيم : ٣١

وشعار الماديين نحو غيرهم ، هو : فيما يصوره قول الله تعالى : **« وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين . واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا فى ضلال مبين »** (٦٣) .. أنانية وشح . وشعارهم نحو أنفسهم هو ما تعبر عنه الآية الكريمة :

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » (٦٤) .. أنانية وطغيان ، وإسراف فى الاستمتاع .. وتجاهل وإنكار للآخرين فى المجتمع .

والملكية الفردية إذن أساس ضرورى فى الإسلام لاختبار مدى الطاعة فى الإنفاق فى سبيل الذات ، وفى سبيل الخير العام معا . إذ بدون الملكية الفردية لا يعرف طائع من عاص . وإنما يعرف فقط : نفاق فى الاستجابة : **« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات** (أى فى الرزق والملك) **ليبلوكم فى ما آتاكم ، ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم »** (٦٥) ..

« كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظوراً . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، (أى فى الرزق والنعمة) **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا »** (٦٦) .. ففى هذه الآيات يعبر القرآن صراحة عن التفاوت فى ملكية المال . وهو لا يكون إلا إذا كانت الملكية الخاصة قائمة .

والملكية الفردية أساس ضرورى أيضا فى علاقات الناس بعضهم ببعض .. وفى توازن المجتمع .. وفى تبادل الخدمات فيه **« أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** (فى ملكية المال ومتع الحياة) **ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ،** (أى ليمكن أن يتبادل بعضهم مع بعض : الأجور من جانب ، والخدمات من جانب آخر) **ورحمة ربك خير مما يجمعون »** (٦٧) ..

وفى تنظيم الإسلام للإمكانيات الاقتصادية فى حياة البشر ــ أو فى رسالته إلى الناس بشأن الاستمتاع بالمتع المادية فى الحياة ــ يرعى مشيئة

---

(٦٣) يس : ٤٦ ، ٤٧
(٦٤) محمد : ١٢
(٦٥) الأنعام : ١٦٥
(٦٦) الاسراء : ٢٠ ، ٢١
(٦٧) الزخرف : ٣٢

الإنسان : أى يرعى كرامته كطبيعة تتميز بالعقل فى الوجود . بينما التنظيم الذى تقيمه بعض الأيديولوجيات المادية : يرعى الإلزام والإكراه . فهو يكره على عدم التملك ، ويدفع بالسلطة الجبرية وحدها لتنفيذ تنظيمه فى عدم الاقتناء لتحقيق ما يسمى بالتوازن فى حاجات الناس .

ولذا كان الإسلام نظاماً تراعى فيه الخصائص الإنسانية المميزة : الإرادة الحرة وكرامة العقل .. والمشاركة ذات المسئولية فى عمل المجتمع : وبنائه .. وتماسكه : إنه دين الحضارة .

* * *